



سياسة الرومنة وأثرها على العمران ببلاد المغرب القديم
The politics of Romanization and its impact on Urbanization
In the ancient Maghreb

سايع مرزوق أحمد (*)

المركز الجامعي تيبازة ، الجزائر

saiah.ahmed@cu-tipaza.dz

تاريخ الإيداع: 2024/09/17 تاريخ القبول: 2024/11/25 تاريخ النشر: 2024/12/29

الملخص:

بعدما أتمت روما بسط سيطرتها على الحوض الغربي للمتوسط، لاسيما الاستحواذ على كامل بلاد المغرب القديم، عكفت الإدارة الرومانية على تنفيذ سياستها القائمة على الرومنة التي مست مختلف الجوانب الحضارية. ومصطلح الرومنة الذي ظهر لأول مرة أواخر القرن 19 مع المؤرخ الألماني ثيودور مومسن، للدلالة على نشر الرومان لنموذج حضارتها بالمناطق المحتلة، وبشكل خاص تأسيس مدن استعمارية ذات نموذج عمراني يتوافق مع المدينة الرومانية، لذا عنونت مداخلتي بسياسة الرومنة وأثرها على العمران ببلاد المغرب القديم. تتناول بذلك الدراسة التعريف بسياسة الرومنة على اختلاف المفاهيم المتداولة ووجهات النظر حولها، ثم توضيح أثر هذه السياسة على الجانب العمراني للمدينة ببلاد المغرب القديم، بتغيير أسماء المدن أو طمس معالم العمران المحلي والبيونيقي عن طريق تشييد مباني على الطراز الروماني كالمدرجات والمسارح وغيرها.

الكلمات الدالة:

المغرب القديم: روما: الرومنة: العمران: المسارح.

Abstract:

After Rome completed the extension of its control over the western basin of the Mediterranean, especially the acquisition of the entire country of the ancient Maghreb, the Roman administration set about implementing its policy based on Romanization, which affected various aspects of civilization. The term Romanization, which appeared for the first time in the late 19th century with the German historian Theodore Mommsen, to denote the Romans' dissemination of their civilization model in the occupied regions, and in particular the establishment of colonial

(*) المؤلف المرسل: سايع مرزوق أحمد: saiah.ahmed@cu-tipaza.dz



cities with an urban model compatible with the Roman city, so I titled my intervention with the policy of Romanization and its impact on urbanization in the country ancient Morocco. This study deals with defining the policy of Romanization in the different concepts and points of view around it, and then clarifying the impact of this policy on the urban side of the city in the ancient Maghreb, whether by changing the names of cities or obliterating the features of local and Punic urbanism by constructing buildings in the Roman style such as amphitheatres, theatres, and others.

Key Words:

Ancient Maghreb ; Rome ; Romanization ; urbanization ; Mommsen

1. مقدمة:

ظهرت روما على مسرح الأحداث بشكل بارز بعد نهاية الحرب الثانية ضد قرطاج عام 202 ق.م، وبدأت منذ هذا التاريخ تعمل على توسيع سيطرتها العسكرية والسياسية على كامل الحوض الغربي للمتوسط، وبدأت علا في تحقي أهدافها بعد تحطيم قرطاجة عام 146 ق.م وتسيطر على أراضيها وباقي أراضي بلاد المغرب القديم في إطار التدرج في الاحتلال والسيطرة. وما إن تم لها ذلك حتى شرعت في تطبيق سياسة خاصة بالبلاد في شتى الميادين الاقتصادية، السياسية، الاقتصادية والحضارية، والحديث عن التأثيرات الحضارية هو لب الموضوع الذي سأعالجه في هذا المقال، خاصة وأن روما عملت على اجتثاث كل ما له صلة بالحضارة المحلية وتغييره بالجوانب الحضارية الرومانية، وهذا في إطار سياسة أطلق عليها المؤرخ الألماني مومسن اسم الرومنة، وهي السياسة التي شملت جمع الميادين لاسيما العمران الذي تأثر بشكل كبير وكاد يمحى الصبغة المحلية. ومنه فما المقصود بهذه السياسة الرومانية، فيما تتمثل آلياتها؟ وكيف طبقت في مجال العمارة؟ وكيف أصبح طابع العمارة بعد الاحتلال الروماني للبلاد.

2. سياسة الرومنة :

بعد تمكن روما من تحقيق السيطرة السياسية والعسكرية على أقاليم بلاد المغرب القديم شرعت في تطبيق سياستها الاستيطانية، الرامية في المجال الحضاري إلى القضاء على الهوية المحلية وتغييرها ومحاولة إذابة السكان في الحضارة الوافدة من إيطاليا وهذا كله في إطار سياسة الرومنة.



1.2 بوادر الرومنة

يعود ظهور مصطلح الرومنة إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي والذي جاء هو المؤرخ الألماني ثيودور مومسن (*Théodore Mommsen*)، والذي اعتبرها بداية رومانية لنشر نموذج المدينة الرومانية المحدد بالعمران ومختلف قوانينها وذلك في الأقاليم التي سيطرت عليها لاسيما بلاد المغرب القديم¹، واتبع المتخصصون في فهم مصطلح الرومنة أسسها المتمثلة في محاولة روما فرض لغتها وثقافتها في الأراضي المحتلة، وبذلك فالرومنة تتعلق بالتغيرات الجذرية لمجتمعات معينة بسبب ظروف أجبروا عليها من طرف المحتل، كما أن روما في هذا الصدد تهدف إلى تحقيق تغييرات تتوافق مع الحضارة والثقافة اللاتينية، فالغزو هو بداية المشروع والاستيطان دليل نجاحها في تطبيق أهدافها².

لذا فإن روما في مشروعها الاستيطاني لم تكتفي بتحقيق الانتصار العسكري وتوسيع السيطرة على الأراضي وتحويل ملكيتها لاسيما الخصبة منها إلى ملكية رومانية، أو في حسب قانونها ملكية عمومية للشعب الروماني، وإنما تعدت إلى استخدام عناصر بشرية جلبتهم من روما ومن مختلف الأراضي الواقعة تحت احتلالها، أو حتى عناصر بشرية محلية انساقوا وراء سياسة روما عن طريق الإغراء، من أجل تثبيت وجودها ومحو الحضارة المحلية وتعويضها بالرومانية، فالرومنة هي عملية معقدة بمسار طويل ومتواصل بدءا بالمسار العسكري مروراً بالسياسي وصولاً إلى المسار الثقافي والحضاري³.

2.2 مفهوم الرومنة:

اختلفت وتضاربت المفاهيم حول تحديد دقيق لمصطلح الرومنة وذلك باختلاف وجهات النظر لدى المتخصصين وكل فسرهما من زاوية معينة لكنها تصب أساساً في قالب واحد، حيث تُعرف على أنها محاولات روما تغيير البنية الحضارية للشعوب التي تمكنت من السيطرة عليها، بطمس المعالم المحلية منها اعتماداً على كل الوسائل المتاحة لبلوغ وتحقيق الهدف⁴، ويعرف (مارسيل بنابو) الرومنة على أنها لا تعني فقط نقل الحكم والرجال ولكنها تعني نقل للحضارة الرومانية، وتغيير المظاهر المحلية جذرياً⁵. يشير (محمد البشير شنيقي) إلى أن الرومنة هي تغيير الرومان للأنظمة الإدارية التي وجدوا عليها المناطق المحتلة تغييراً جذرياً إلى أنظمة إدارية رومانية خالصة⁶، كما عُرفت على أنها بروز لبصمة روما في المناطق المحتلة بالحوض الغربي للمتوسط سواء أكانت مناطق ريفية أو مناطق حضرية، حيث مست بشكل كبير المناطق الحضرية وسكانها بتغييرهم اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً⁷.



وتتوافق التعاريف السالفة الذكر مع ما جاءت به الباحثة (مونيك دوندون بايير) التي غطت ميادين عدة حيث ذكرت أن الرومنة يقصد بها نقل حضارة روما إلى المقاطعات التي بسطت عليها سيطرتها العسكرية والسياسية، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لاسيما منها بلاد المغرب القديم، وذلك بفرض عبادة الآلهة الرومانية أو دمجها مع الآلهة المحلية بصبغها صبغة رومانية هذا في المجال الديني، أما الجانب السياسي والقانوني فتمثلت في استمالة السكان المحليين لتقبل النظام الروماني، واقتصاديا عملت روما على رومنة الثروات المحلية واستخدامها في تطبيق وتشجيع سياسة الرومنة، وأخيرا الجانب الاجتماعي والحضاري من خلال التوسع العمراني كوسيلة أساسية لنشر الثقافة اللاتينية⁸.

وبذلك فالرومنة هي سياسة استعمارية قديمة جاءت بها روما وطبقها في مستعمراتها خاصة بلاد المغرب القديم، بمحاولات القضاء على كل ما هو محلي وتغييره بكل ما هو روماني تحضيراً للسيطرة الكاملة وإلحاق الأراضي المحتلة بممتلكات الإمبراطورية الرومانية.

3. آليات تطبيق سياسة الرومنة:

عملت روما منذ وطأة أقدامها ببلاد المغرب عام 146 ق.م بعد تحطيم قرطاجة على تطبيق سياسة خاصة قائمة على مجموعة من الآليات والوسائل، التي مست جل الجوانب السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والحضارية وهذا لتسهيل مهمتها بالبلاد الرامية إلى نقل حضارتها وتبنيها حتى يتقبلها السكان الأصليون

1.3 تغيير طبيعة ملكية الأرض:

عملت روما بعد احتلال قرطاجة على تنفيذ إجراءات فورية منها اعتبار كل أراضي قرطاجة مقاطعة رومانية، وذهبت أبعد من ذلك إلى محو اسمها نهائيا وإلغائه مع استبداله باسم مقاطعة إفريقيا الرومانية (*Provincia Africa Romana*)، وتغيير طبيعة الملكية والاسم ذو أهداف بعيدة حتى لا تذكر على الألسن بين السكان⁹، ولم تكتف روما بضم أراضي قرطاجة ببلاد المغرب بل توسعت في السيطرة حيث هيمنت على كامل البلاد، حيث أنبى يوليوس قيصر عام 46 ق.م السيادة النوميديّة بعد هزيمة يوبا الأول، وتم إلحاق أراضيها بأراضي روما واعتبارها ملكية لها وغيرت اسمها من نوميديا إلى إفريقيا الجديدة (*Africa Nova*)¹⁰.

اعتبرت روما الأرض وسيلة لتحقيق أهدافها فكل الأراضي المحتلة أصبحت حقا من حقوقها وضمتها بقوانين مفتعلة، وعينت مهندسين عسكريين يتولون نزع الأراضي وتحديداتها كما تم تكليفهم بإجراءات المسح وإيداع ملفاتها لدى مصالح خاصة تحضيراً لتقسيمها على الملاك



والمستوطنين الرومان¹¹، فبالأرض حاولت روما أن تراوغ السكان بنسيان أرضهم بسلبها منهم أو تغيير اسم بلدانهم ومدنهم وقراهم، لكن ذلك لم يكسر عزيمتهم في الدفاع عنها.

2.3 تفكيك الروابط القبلية للسكان:

كانت البنية الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم مبنية على أساس الرابطة القبلية باعتبارها دستورهم. فكانت القبيلة تتشكل من سلطة هرمية على رأسها شيخ القبيلة من إحدى الأسر ذات التأثير وذات ثروة، وتتوارث هذه الأسرة السيادة على بقية الأسر داخل القبيلة الواحدة، يجمعها التعاون والتضامن في شتى مناحي الحياة¹² ففي نوميديا مثلا وهي إحدى مجتمعات بلاد المغرب عرفت بنظام قبلي متماسك عرف ملوكها باسم الإقليد التي تظهر في النقوش الليبو-بونيكية المتكشفة في دوقة¹³.

درست روما هذا النظام السياسي المترابط والمتكامل والذي حكم هذه الشعوب لفترة طويلة وهو أساس قوتها واستمراريتها، لذا عملت على تفكيكه مما يتيح لها التغلغل والسيطرة بسهولة فلجأت إلى أسلوبين، الأول تمثل في سياسة الإغراء باستغلال الأسر التي تتمتع بالنفوذ السياسي، فأغدقت عليها بالهدايا والمناصب لتجعلهم واسطة بينها وبين الأهالي¹⁴، أما الأسلوب الثاني تمثل في القمع بتطبيق مجموعة من القوانين والإجراءات التعسفية ضد القبائل¹⁵.

3.3 المواطنة الرومانية:

انصب جهد الإدارة الرومانية بالمنطقة على خلق طبقة محلية موالية لها تتميز بالثراء المصطنع على حساب أبناء جلدتهم، فاستقطبت العديد من العناصر وحاولت إذابتهم بالمجتمع الروماني عن طريق المواطنة، فأصدرت قانون الحالة المدنية الرومانية والذي يمنح للمحليين المندمجين مجموعة من الحقوق¹⁶، ففتحت لهذه الفئة الجديدة من المجتمع المجال للرقى في السلم الاجتماعي والسياسي، فتبنوا عادات ومعتقد وثقافة روما طمعا في الوصول الى درجة المواطنة الرومانية والتي تعتبر أعلى درجات السلم الاجتماعي، وتكون روما بذلك سخرت جميع إمكانياتها لتحقيق السيطرة الكاملة على المناطق المحتلة¹⁷.

تمكنت روما من رومنة بعض الأهالي المنضوين تحت راية الرومنة وتم تسوية وضعيتهم القانونية والاقتصادية، ومنحت لهم الإدارة الرومانية أراض وعقارات وامتيازات أخرى¹⁸، وتم ترقيتهم على حساب مصلحة بلدهم من رتبة الصنف الاجتماعي الأدنى إلى صنف اجتماعي أعلى، فأصبحوا من النبلاء ضمن الطبقة الأرستقراطية الرومانية، وتم إشراكهم في تسيير



مختلف المجالس لاسيما مجلس الشيوخ، كما بلغ القلة منهم أعلى المراتب السياسية كشخصية سبتيموس سيفيروس الذي تمكن من تبوأ درجة الإمبراطور من أصل إفريقي¹⁹.

4. أثر الرومنة على العمارة ببلاد المغرب القديم:

لم يكن هدف روما من وراء توسيع احتلالها لكامل بلاد المغرب القديم هو السيطرة العسكرية والسياسية فحسب، بل تعدى الأمر إلى محاولة اجتثاث الحضارة المحلية من جذورها وتعويضها بحضارة وثقافة أجنبية وهي الحضارة والثقافة اللاتينية في إطار سياسة الرومنة التي شملت شتى الجوانب، وبشكل خاص العمارة التي تأثرت بشكل كبير إلى درجة اندثار أغلب مظاهر العمارة المحلية واستبدلت بالنمط العمراني الروماني.

1.4 أهداف وقوانين التوسع العمراني:

هدفت روما من وراء ضرب العمارة المحلية ورومنتها إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما طمس المعالم الحضارية للمنطقة وربط سبب تطورها بقدم الأجانب فقط، وأن المنطقة وثرواتها وجدت لخدمة الصالح الأجنبي واعتبار السكان بدون حضارة وتابعين للأجنبي، وثانيا توفير مختلف ضروريات الحياة المتوفرة في المدن الإيطالية، وهذا لجذب أكبر عدد من المستوطنين للاستقرار بالمنطقة وتعميرها بجنس جديد يخدم الأجندة الرومانية²⁰، فانطلقت روما في محاولات تشييد العمارة بعد سنوات قليلة من تحطيم قرطاجة لكنها محتشمة جدا واقتصرت على الجانب العسكري، لكن بمرور الوقت وحاجة روما لذلك أصدرت قوانين الاستيطان التي بدأ في سنها يوليوس قيصر منذ النصف الثاني للقرن الأول ق.م²¹.

ومن أجل تسريع عملية رومنة العمارة والقضاء على الطابع المحلي أعطى مجلس الشيوخ روما بعد حرق قرطاجة عام 146 ق.م أوامر صارمة بوجوب هدم ما تبقى من عمران المدينة، وكل العمران المحيطة بها وجعل المدينة مدينة رومانية²²، ويهدف إخفاء الطابع المحلي للعمران تم تعويضها بمباني جديدة على النمط العمراني، فتم تشييد في كل تجمع سكني مسرحا أو مدرجا رومانيا وغيرها من المباني الدينية والترفيهية، والتي استعملت أساسا كوسيلة لنشر الثقافة والمعتقدات الرومانية، أين كانت تعرض مثلا مسرحيات في المسارح المشيدة في قالب هزلي ولكن متستر وراء نشر ثقافتها²³.

وتجدر الإشارة أن بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني كانت تنشر بها المدن والقرى وبها مباني مختلفة منها ما هو لغرض سكني، ومنها ما هو لغرض عسكري وسياسي وديني رغم



محاولات الرومان طمسه بعد الاحتلال، ولا تزال العديد من الآثار صامدة وتقاوم الطبيعة وشاهدة على زهاء المدينة المحلية قديما، وتؤكد الدراسات على أن بداية العمارة بأنواعه بالبلاد يعود إلى الفترة السابقة لقدم الفينيقيين²⁴، وقرطاجة هي أولى مناطق البلاد التي تعرضت إلى رومنة العمران وفرض عليها النموذج الروماني، فبنيت على أنقاض المدينة المحطمة عمراننا ذو طابع روماني بما فيها العمارة الترفهية، لتنتقل العدوى إلى بقية مدن البلاد عامة ولنا في ذلك أمثلة كثيرة منها دوقة (Thugga)، زاما (Zama)، كيرتا (Cirta)، إيول (Iol) وغيرها كثير.

2.4 مظاهر العمارة الرومانية:

طبعت المدن التي أنشأها روما بالبلاد بطابع روماني بهد استمالة أكبر عدد من المستوطنين تحضيرا لأكبر عملية استيطان، وركزت بشكل كبير على العمارة الترفهية التي تتوفر لدى المواطن في روما حتى لا يجد الفرق في الحياة بين موطنه والمنطقة المحتلة، وسأعرض بعض النماذج منها في التالي:

أ/ المدرجات (Amphithéâtre): وتسمى كذلك باسم قاعات المصارعة للأسرى والمحكومين وهي من أهم مظاهر العمارة الرومانية، المستحدثة في شمال إفريقيا في إطار سياسة رومنة العمران²⁵، وهي هياكل اخترعها الرومان وأوجدوها لغرض تقديم عروض مصارعة ترفهية، أين تتم المصارعة بين البشر والبشر وبين البشر والحيوانات المتوحشة وتتبع العروض بموسيقى حماسية لإثارة المتخصصين²⁶، ويتكون المدرج من عدة صفوف مرتفعة كمقاعد للمتفرجين، وأسفلهما يوجد الميدان وهو عبارة عن ساحة وسطية تستخدم لعدة أغراض، كما يتم تزيينه ليبرز بشكل جمالي كصفوف من الأقواس وديكورات مقتبسة من الأنظمة العمرانية الكلاسيكية²⁷.

توسعت روما في إنشاء هذا الهيكل في كل من قرطاجة ونوميديا وخاصة في المدن الساحلية الكبرى وحتى الداخلية منها، ويظهر في حجم مخططها العمراني وهندستها المعمارية وجمال زخرفتها منها مدرج الجم²⁸، والذي استخدم لاحتضان الألعاب والمهرجانات الهادفة إلى نشر الثقافة اللاتينية ورومنة الأهالي، وكانت المدرجات على غرار مدرج الجم (أنظر الشكل 1) تستقطب أعداد بشرية هائلة تراوحت عموما بين 30 و 40 ألف متفرج²⁹.

الشكل رقم 1: مدرج الجم بتوس³⁰



ولتشبيد المدرجات بالمنطقة كانت الإدارة الرومانية تختار المواقع بعناية شديدة، بحيث تراعي في ذلك أن يكون اتجاه الشمس مسلط على مكان العرض تعطي إضاءة كبيرة، بينما يكون المتفرجون في الاتجاه المعاكس لها تجنباً لتعرضهم لأشعة الشمس الحارقة، كما ركز المهندسون المعماريون على اختيار مساحات واسعة قصد ترك الفراغات بين جوانب المدرج وهو ما يسهل على القائمين عملية الإخلاء في حالات الأزمات الطارئة، فضلاً على تسهيل حركة التجوال والدخول والخروج، لذا بني أغلبها بعيداً عن العمران السكني ولكن على جوانب الطرقات لتسهيل الوصول إليها³¹، واختلفت حجم المدرجات وسعة استقبالها للمتفرجين بالمنطقة حسب عدد سكان كل مدينة، فالمدن الكبرى شيدت بها مدرجات يفوق سعة استقبالها أربعين ألف متفرج، بينما لم يتجاوز في المدن الصغيرة أربعة عشر ألف متفرج حسب الجدول التالي:



الشكل رقم 2: جدول يبين سعة بعض المدرجات في مدن بلاد المغرب القديم³².

المدينة	سعة المدرج
قرطاج	415500 متفرج
ثيسدر	36000 متفرج
لبتيس ماغنا	30000 متفرج
قيصرية	14000 متفرج

ب/ المسارح: يعود أصل المسرح الى بلاد الإغريق على يد اليونانيين الذي عرف كذلك بالمسرح الهيليني³³، ونقلوه عنهم الرومان لكنهم قاموا بإدخال تطورات عليه فاختلف المسرح الروماني عن الإغريقي، وعن المسارح المشيدة في بلاد المغرب القديم فقد اختلفت من مدينة الى أخرى حسب اقتراح كل مهندس معماري بما توفرت لديهم من معطيات حول الأرض ومواد البناء ورأس المال وحاجة المدينة³⁴، ويعتبر المسرح أهم منشأة عمرانية لروما بالبلاد حيث كان لها دور كبير في نشر الثقافة والحضارة اللاتينية، بل كانت أهم وسيلة من وسائل سياسة الرومنة³⁵.

كانت روما تعتبر أن انجاز المسرح في مدينة ما بمثابة رقما ورفاهيتها نظرا لضخامة المنشأة العمرانية، بل وكانت فخمة وذات أشكال هندسية راقية لغرض تقديم الأعمال الفنية المختلفة كالتمثيل والغناء، كما كانت منابر للاحتفاء وتكريم الشخصيات الهامة وكذلك تقديم النذور والأنصاب للآلهة الرئيسية كساتورنوس³⁶، وأولى المسارح المشيدة بالبلاد مسرح قرطاج الذي كان يتسع لعدد هائل من المتفرجين، قدر بما بين 60 إلى 75 ألف متفرج³⁷، كما أن مسرح قيصرية تميز عن غيره بمميزات خاصة وهو من أولى المسارح الرومانية بالبلاد بعد مسرح قرطاج، حيث بني أواخر القرن الأول ق.م واستغرق بناؤه عشر سنوات ما بين 25 و 15 ق.م، خلال فترة حكم الملك يوبا الثاني، الذي كان يحكم باسم الرومان وكان مولعا بالثقافة اللاتينية والإغريقية³⁸.

ويعتبر المسرح من أهم الهياكل التي اعتمدتها الإدارة الرومانية لاستدراج السكان للترفيه ظاهريا ونشر الثقافة اللاتينية باطنيا، حيث كانت تعرض على خشبة المسرح عروضاً مختلفة كالغناء والحوارات والرقص والتهرج فضلا على المسرحيات الهزلية المقتبسة من العروض



الشعبية الإيطالية³⁹، ويختار لتقديم العروض شخصيات مناسبة لغرض جلب الانتباه حيث يرتدون أنعة ذات أشكال مختلفة ويضعون فوق رؤوسهم شعرا مستعارا، وأهم الشخصيات التي كانت تقدم هذه المسرحيات وأشهرها الغبي ماكوس (*Macus*) في دور المهرج الأكلول، وبابوس (*Papus*) في دور العجوز الشحيح، والطفل بوكو (*Bucco*) في دور الطفل البدين، أما دوسنوس (*Dossenus*) فكان يؤدي دور الأحدب الذكي، ويتم التفريق بينهم اعتمادا على لون البدلة المستعملة فلكل منها لون خاص⁴⁰.

ج/ الحمامات والساحات العامة:

الحمامات (*Therame*) وهي إحدى البنايات الهامة التي تمثل جانبا من الجوانب الحضارية في حياة المجتمعات القديمة لما للاستحمام من أهمية في حياة الفرد اليومية⁴¹، يعود أصلها إلى الإغريق والتي عرفت عندهم باسم الجميزيوم (*Gymnasion*) وأخذها عنهم الرومان وقاموا بتوسيعها في بلاد المغرب القديم⁴²، ولم يكن الغرض من انشائها لاستخدامها للاستحمام فحسب بل سخرت كوسيلة لنشر الحضارة والسيطرة الثقافية والرومنة⁴³، خاصة وأنها كانت بمثابة أماكن للمنتديات الثقافية والاسترخاء وقضاء أوقات الفراغ⁴⁴، وبالتالي لقاء الأهالي والرومان مما سهل تسريب ثقافتهم.

توسعت روما في إنشاء الحمامات بمدن البلاد على غرار قرطاج، يول، كويكول، تيمقاد والتي اعتبرت منشأة أساسية في المدينة، وكانت الحمامات تقام بأعداد معينة في المدن حسب عدد سكانها، لا سيما وأن الناس كانوا يقصدونها بشكل كبير وتصل قدرة استيعاب بعضها 1600 مستحم⁴⁵، وتشكلت الحمامات الرومانية من منصة مرفوعة تتواجد تحتها غرف بها مواعد إضافة إلى ثلاثة أجزاء أخرى هي⁴⁶:

- البناية الرأسية: تحتوي على الغرف الدافئة، حوض السباحة، غرف التجفيف، غرفة التعرق وغرف التبديل.
- المنزلة أو المرح: وهو عبارة عن فضاء مفتوح في وسطه المساحة الخضراء والنافورات.
- القسم الخارجي: وفيه قاعات وغرف مخصصة للمتفرجين والزوار وأخرى مخصصة للفلاسفة ورجال السياسة، هدفها نشر الثقافة اللاتينية وبالتالي رومنة السكان.
- لم يكتفي الرومان بما سلف ذكره وإنما توسعت الإدارة الرومانية في تشييد مباني وهياكل وفق النموذج الروماني، والهدف واضح هو القضاء على الصبغة المحلية للمدينة المحلية فتوسعت كذلك في تشييد الساحات العمومية (*Grand Forum*)، وهي عبارة عن ساحات



واسعة خالية من المباني فهي تحيط بها وتكون مكشوفة على الهواء الطلق⁴⁷، وتراوحت مساحة الفوروم ببلاد المغرب القديم ما بين مائتين وثلاثمائة متر مربع كفوروم بورتوس ماغنوس (*Portus Magnus*)⁴⁸، ومدينة باجا بتونس كانت بها الساحة العامة تحيط بها المساكن الخاصة بالإيطاليين ومحلاتهم التجارية حسب ما يذكره سالوستيوس⁴⁹، كما شيدت في بعض المدن الهامة والكبيرة ساحتان الأولى قديمة ذات إنشاء محلي، والثانية استحدثها الرومان ومثال ذلك مدينة مكثر⁵⁰ (Mactaris).

5. خاتمة:

وختاما لهذا الموضوع فإنني خلصت إلى جملة من النتائج والاستنتاجات أوجزها في النقاط التالية:

- فكر الإدارة الرومانية في السيطرة على بلاد المغرب القديم برز جليا بعد نهاية الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية عام 146 ق.م، ولم تكتفي بالسيطرة السياسية والعسكرية بل تعدى ذلك إلى السيطرة الحضارية والثقافية.
- بدأت روما مشروع السيطرة الحضارية بفكرة إقصاء العنصر المحلي واعتباره إنسانا غير متحضر، وأن الرومان قدموا لتبليغ رسالة الحضارة إلا أن الشواهد الكتابية والمادية تؤكد عكس ذلك وتبين أن روما استخدمت سلاح الغالب على المغلوب في شتى الميادين.
- الرومنة كمصطلح حديث النشأة ظهر خلال القرن التاسع عشر عند المؤرخ الألماني ثيودور مومسن، لكن من ناحية التطبيق فهو قديم يعود إلى فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم.
- الرومنة واسعة المفهوم في أبجدية الإدارة الرومانية حيث شملت مختلف الجوانب السياسية، الاجتماعية، الحضارية والدينية.
- مست الرومنة جانب العمران ببلاد المغرب القديم، فارتكبت الإدارة الرومانية مباشرة بعد احتلالها البلاد مجزرة رهيبة في حق العمارة المحلية، إذ طمست أغلب المعالم المحلية ولم يسلم منها إلا بعض جوانب العمارة الدينية كالقبور.
- لما أتمت روما تهديم وطمس معالم العمارة المحلية، شرعت في تغيير النمط العمراني للمدينة المغاربية القديمة فتوسعت في تشييد مدن على الطراز الروماني، والهدف من وراء ذلك هو استقطاب المستوطنين الإيطاليين تحضيرا لعنلية استيطان واسعة وكذلك لغرض استخدامها كوسيلة لرومنة العناصر المحلية.



➤ أهم مظاهر العمارة الرومانية بالبلاد نجد العمارة الترفيهية كالمسارح، المدرجات والحمامات والساحات العامة، الموجهة لاستقطاب السكان المحليين والأجانب على حد سواء بهدف قبول الحضارة اللاتينية.

➤ رغم كل ما شيدته روما ببلاد المغرب القديم إلا أن المقاومة الثقافية للسكان كانت بالمرصاد بل وحافظت على العديد من المظاهر الحضارية المحلية رغم طول فترة الاحتلال الروماني والتي قاربت الخمسة قرون.

8. هوامش:

¹ Mommsen (Th), **Histoire Romaine**, tome II, trad. Par De Guerle, éd. C. Marpon et E. Flammarion, Paris 1882, p 16.

² Inglebert Hervé et autres, **Histoire de la civilisation romaine**, éd. P.U.F, Paris 2005, p 428.

³ Benabou (M), **la résistance Africaine a la romanisation**, éd. François Maspero, Paris 1976, p 48.

⁴ شافية شارن وآخرون. الاحتلال الاستيطاني، وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص 103.

⁵ Benabou (M), op. cit, p 30.

⁶ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطنيا 146 ق.م - 40م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 75.

⁷ محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، منشورات وزارة الثقافة - الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر 2007، ص 183.

⁸ Monique Dondin Payer, recherche sur un aspect de la romanisation d'Afrique du nord l'expansion de citoyenneté romaine jusqu'à Hardien, In : Ant. Afr, tome 17, pp 93,94.

⁹ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري لليمس الموريطني ومقاومة المور)، الجزء 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 41.

¹⁰ نفسه، ص 43.

¹¹ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص 79.

¹² Gsell (S), textes relatifs a l'histoire de l'Afrique du nord -Hérodote-, éd. A. Jourdan, Alger 1915, p 199.



¹³ أحمد سايح مرزوق، تداعيات الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من نهاية القرن الثالث الى القرن الأول ق.م، أطروحة دكتوراه، اشراف نورالدين شعباني، خميس مليانة 2021/2020، ص 259.

¹⁴ طياب مريم، النظم الاجتماعية في نوميديا في مطلع القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الثالث ميلادي، رسالة ماجستير، إشراف دراع الطاهر، جامعة العقيد أحمد دراية – أدرار 2015، ص 87.

¹⁵ نفسه، ص 88.

¹⁶ خلفه عبد الرحمن، جوانب من المقاومة الثقافية ضد الرومنة في الجزائر القديمة، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد 4، 2012، ص 11.

¹⁷ بلقاسم رحمان، أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 2، جوان 2009، ص 10.

¹⁸ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 273.

¹⁹ عمار محجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني الى نهاية العهد السيفيري 146 ق.م – 235 م، مركز النشر الجامعي، تونس 2001، ص 120.

²⁰ أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 270.

²¹ عمار محجوبي، المرجع السابق، ص 121.

²² نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الرومان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر 1997، ص 161.

²³ Pichot Adeline, jeux et spectacle en Afrique romaine, In : Materia, N° 11, 2005, p 4.

²⁴ عبد القادر بوعزيز، الحياة في ساحة الفوروم بمدن إفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني، مجلة عصور، العدد 16، جوان/ديسمبر 2010، جامعة وهران – الجزائر، ص 245.

²⁵ هاشم عبود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة 1، عمان – الأردن 2013، ص 191.

²⁶ Pichot Adeline, op. cit, p 5.

²⁷ هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 191.

²⁸ Ennabli (A), l'art romain en Afrique du nord, In : revue du patrimoine mondial, N° 16, septembre 2000, pp 20, 21.

²⁹ بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص 5

³⁰ <https://www.bing.com/images/search?>

³¹ Pichot (A), op. cit, p 5.

³² أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 275.

³³ هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 191.

³⁴ Pichot (A), op. cit, p 4.

³⁵ Lenoir Maurice, lixus a l'époque romaine, In : actes du colloque de Larache 8-11 novembre 1989, Ecole Française de Rome, Rome 1992, p 277.



- ³⁶ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 262.
- ³⁷ بلقاسم رحمانى، المرجع السابق، ص 6.
- ³⁸ Pichot Adeline, op. cit, p 5.
- ³⁹ محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، العدد 20، جانفي/جوان 2013، جامعة وهران – الجزائر، ص 20.
- ⁴⁰ Pichot Adeline, op. cit, pp 7, 8.
- ⁴¹ يحيى الشحات محمد محمود، دراسة لحمامات غرب الدالتا في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني، رسالة ماجستير، إشراف حنان خميس الشافعي، كلية الآداب – جامعة دمنهور مصر 2016، ص 6.
- ⁴² هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 189.
- ⁴³ يحيى الشحات محمد محمود، المرجع السابق، ص 7.
- ⁴⁴ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، .. ص 217.
- ⁴⁵ Pelletier (A), l'urbanisme romaine sous l'empire, éd. Picard, Paris 1882, p 124.
- ⁴⁶ هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 190.
- ⁴⁷ عبد القادر بوعيزم، المرجع السابق، ص 246.
- ⁴⁸ محمد بن عبد المؤمن، المعالم الأثرية ببطيوة، مجلة عصور، العدد 7/6، جوان/ديسمبر 2005، جامعة وهران – الجزائر، ص 284.
- ⁴⁹ Salluste, guerre du Jugurtha, XVII, 57, trad. Par Durosoir (Ch), éd. Panckoucke, Paris 1865.
- ⁵⁰ Mahjoubi (A), les cités romaines de la Tunisie, éd. S.T.D, Tunis 1965, pp 50, 51.